الفصل التاسع

نصف سنة في ثلاجة مظلمة!!

- أول رحلة جوية تكشف عن جبال الخلود!
- الطيار الذي تعلم من البطريق مبادئ الملاحة فنجا!
- بيرد أمير البحار والأجواء وقاهر القطبين
- لأنه لا يوجد نساء في أنتاركتيكا.. يتذكر المغامرون زوجاتهم!
- سبعة أشهر في ثلاجة مظلمة!
- ليست المشكلة في أن يبقى على قيد الحياة في الجمد العميق ولكن المشكلة كيف يحتفظ بعقله!
- عندما تصبح الخطوط القليلة كأنها صعود الجبال وعبور القارات!

الكشوفات الجوية الأولى

ما إن انتهت المغامرات البحرية الكبرى لإكتشاف القارة، حتى دخلت الطائرات المنافسة وحازت على قصب السبق في إرتياد وكشف ما خفي من تلك المسطحات البيضاء الشاسعة.

أما أول من قام برحلة جوية إلى القارة القطبية، فهو السير جورج هيوبرت ويلكنز المغامر الاسترالي في عام ١٩٢٨، تلاه مباشرة "لنيكولن إلسورث" ابن المليونير الأمريكي حيث تعاون الاثنان معاً سنة ١٩٣١، ثم قاما بدءا من سنة ١٩٣٣ وحتى ١٩٣٩م، بأربع رحلات إلى القارة. وفي سنة ١٩٣٥ قام "السورث" يرافقه "هوليك كينيون" بالطيران على ثلاثة مراحل فوق القارة بدءا من أرض غراهام وحتى بحر روس في طائرة ذات محرك واحد، واجها خلال تلك الرحلة ظروفاً كادت تودي بحياتهما، ولقد قُدَّر لهما أن يسيرا على أقدامهما ثمانية أيام بلياليهما وسط عواصف ثلجية حتى تم العثور عليهما.

ولعل الشجاعة الفائقة التي سطرها "السورث" بأعماله الجليلة تلك جديرة بأن تروى.. يقول الطيار المغامر السورث "لقد استهوتني القارة القطبية الجنوبية لأول مرة سنة ١٩١٣م أثناء قُداس أقيم في ذكرى روبرت فالكون سكوت ورفاقه الذي قضوا نحبهم في القارة وذلك في كاتدرائية القديس بولس بلندن...".

وبدأ السورث أولى مغامراته في محاولة للوصول إلى القطب الشمالي مع أمندسن، هو بعينه المغامر النرويجي الذي حقق سبقا عالميا نحو القطب الجنوبي وكانت مغامراتهما على طائرتين بحريتين إلا أنه لم يُكتب لهما النجاح في تلك المحاولة.

لقد حاول "السورث" مرتين الطيران فوق القارة القطبية الجنوبية إلا أنه لم يُوفق كذلك.

وجاءت محاولته الثالثة أكثر جرأة وبطولة إذ بدأها من جزيرة دندي عند الطرف الشمالي من شبه جزيرة أنتاركتيكا، وكان معه على الطائرة التي صنعتها خصيصاً لتلك المهمة شركة نورثروب لصناعة الطائرات، الطيار "هوربرت هوليك كينيون". وتابعت مغامراتهما تلك سفينة خصصت للبعثة وكان عليها الاسترلي ويلكنز الذي أول من بدأ عهد الكشوفات الجوية في القارة.

بدأ السورث مغامرته الجوية من جزيرة دندي منطلقاً نحو الجنوب محلقاً فوق شبه جزيرة أنتلوكتيكا، بدءاً من أرض غراهام عند الطرف الخارجي الممتد نحو البحر من شبه الجزيرة، متوغلاً نحو الجنوب حيث أرض بالمر والجزء المتصل بالقارة العظيمة من شبه الجزيرة، ولقد شاهد السورث ورفيق رحلته سلسلة شاهقة من جبال انتصبت وسط شبه الجزيرة أطلق عليها اسم "اترنتي *Eternity*" وتعني الخلود، وكتب في يومياته عن ذلك المشهد الجلل يقول: "انتصبت قمم جبال وعرة خالية من الثلج في إتجاه رأسي تقريباً ترتفع قرابة ١٢ ألف قدم فوق سطح البحر وأطلقت على سلسلة الجبال تلك اسم جبال الخلود، متأثراً بفكرة الخلود وما نحن عليه من تفاهة".

كان السورث أثناء طيرانه على اتصال بالسفينة المرافقة للبعثة، بواسطة اللاسلكي، ولكن الاتصال بينهما إنقطع بعد الألف ميل الأولى، وإختفت عن ناظريهما سلسلة جبال الخلود بعد ثلاث ساعات من الطيران، وبدت لهما بعد ذلك مسطحات بيضاء شاسعة انتصبت فيها مجموعة من جبال انفصلت عن بعضها البعض، بلغ ارتفاع أعلاها حوالي ١٣ ألف قدم ولقد أطلق عليها السورث اسم "ماري لويز أولمر" على اسم زوجته! ثم شاهد بعد ذلك سلسلة أخرى من الجبال وقرر بعدها الهبوط بعد طيران دام أربع عشرة ساعة تقريباً وبذلك أنهيا المرحلة الأولى من الرحلة.

وكتب السورث يقول بعد أن هبط بطائرته على جليد القارة: "خرجنا من الطائرة وقد تجمدت أوصالنا من شدة البرد وما عانيناه من كبد، ووقفنا ننقل أبصارنا فيما حولنا وسط القارة القطبية. اثنين من الإنس لا ثالث لهما في قارة شاسعة تبلغ مساحتها ثلثي أمريكا الشمالية تقريباً وقد كساها الجليد بردائه الناصع البياض".

ثم ما لبث السورث أن رفع علم الولايات الأمريكية وأعلن سيطرتها على الأرض التي تقع بين درجتي الطول ٨٠° و ١٢٠° غرباً، هذا مع العلم بأن الولايات المتحدة لم تعلن رسمياً حتى الآن سيطرتها أو ملكيتها على أي أراضي بالقارة

أمضى السورث ورفيقه قرابة تسعة عشرة ساعة، ثم أقلعا مرة أخرى لمواصلة مخطط الرحلة المغامرة، إلا أن الضباب الكثيف أجبرهما على الهبوط بعد نصف ساعة فقط من الإقلاع، حيث أقاما في خيمة لمدة ثمانية أيام، ولقد داهمتهما عاصفة ثلجية شديدة، ملأت الطائرة بالثلج وطمرتها تماماً. واستعان السورث بأحد أكواب الشاي لكي يزيل الثلج من غرفة القيادة حيث أخذ منه هذا الصنيع يوماً كاملاً، وكاد أن يتسرب اليأس إليهما فقررا الإقلاع حتى ولو كان الجو لا يسمح بذلك، وأدارا محرك الطائرة لإخراجها من حفرة الجليد المغمورة فيها وتم لهما ما أرادا وفعلاً خرجت الطائرة بعد أن فرغا الكثير من حمولتها وتبسم لهما الجو وهو نادراً ما يبتسم واستطاعا الإقلاع، حيث هبطا بعد ذلك على الطرف الممتد إلى جهة البحر من طنف روس الجليدي "*Ross Ice Shelf*" وكتب السورث يقول "شاهدنا في الجو مياه بحر روس وقد ذاب عنها الجليد وتبدد، وهي التي كانت هدفي الأكبر لأربع سنوات خلت".

ثم أقلعا مرة أخرى ولكن الوقود نفذ منهما بعد ربع ساعة فقط من الإقلاع مما اضطرهما للهبوط الخامس والأخير منذ بدء طيرانهما انطلاقاً من جزيرة دندي وكان

مسارها هذا هو نفس المسار الذي خطط له شاكلتون براً من قبل ولم يستطع تحقيقه قط.

وبدأت المتاعب، وأخذا يبحثان عن مخرج من ورطتهما تلك، لقد مرت تسعة أيام دون بصيص من أمل في النجاة، ولكن من يريد النجاة عليه أن يسعى لها، لا أن يقبع في مكانه منتظراً قدومها.

جهز زحافة كانت معهما بعتاد وزاد يكفيهما لمدة عشرة أيام وانطلقا، وترآي لهما أنهما يبصران عن بعد قاعدة وقد علاها المولد الهوائي الذي يدور بفعل الرياح وسارية جهاز اللاسلكي، ولم يكن في الواقع سوى تلال جليدية تصفر فيها الرياح وعادا أدراجهما إلى حيث الطائرة الجاثمة فوق الجليد بلا حراك، وتدارسا الأمر واستعانا بما كان يستعين به البطريق منذ آلاف السنين! وأفادتهما خبرتهما الملاحية برصد الشمس ودورتها حيث حددا وجهتهما وحملا زحافتهما بكل ما لديهما من زاد وانطلقا إلى خليج الحيتان، حيث التقطتهما سفينة بعد ذلك بشهر

كانت مغامرات السورث هي بداية الكشوفات الجوية الأولى للقارة أما أعظم من قام برحلات جوية فوق أنتاركتيكا، فهو الأدميرال الأمريكي "ريتشارد إفلين بيرد".

بيرد أمير البحار والأجواء

كلمة أميرال أو أدميرال المستخدمة في معظم اللغات الأوروبية للدلالة على الرتبة البحرية العسكرية الكبيرة لحاملها، ذات أصل عربي، أو هي محرفة من الأصل العربي أمير البحر، لذا فإن الأدميرال بيرد،تسيد البحار برتبته البحرية الرفيعة التي حصل عليها، وتسيد الأجواء لجسارته وشجاعته وانجازاته الفريدة.

ولد بيرد سنة ١٨٨٨م في فرجينيا لأسرة عريقة، والتحق بسلاح البحرية الأمريكي حيث عمل طياراً على الأسطول البحري خلال الحرب العالمية الأولى، ثم استولت على تفكيره البعثات الاستكشافية بعيدة المدى، خاصة البعثات القطبية حيث يقول حول هذا الأمر: "استولت على وقتي وأفكاري البعثات الإستكشافية المتعددة التي قمت بها الواحدة تلو الأخرى ولمدة أربعة عشر عاماً تقريباً، ولم تترك لي تلك البعثات الفرصة للتفكير في غيرها، ففي عام ١٩١٩م عبرت المحيط الأطلنطي جواً، وفي عام ١٩٢٥م توليت قيادة وحدة طيران البحرية التابعة لبعثة ماكميلان القطبية الشمالية لاكتشاف جزيرة غرينلاند،وبعثة القطب الشمالي عام ١٩٢٦م وعبور المحيط الأطلنطي مرة أخرى عام ١٩٢٧م، وبعثة القطب الجنوبي في الفترة من ١٩٢٨م إلى ١٩٣٠م، وبعثة القارة القطبية الجنوبية مرة أخرى في الفترة من ١٩٣٣م إلى ١٩٣٥م.. وهكذا لم تتوفر لي فترة راحة بين تلك الرحلات فما تكاد تنتهي واحدة حتى أشرع بالأخرى وكنت في نفس الوقت أجوب البلاد من أدناها إلى أقصاها لألقي المحاضرات أكسب بها عيشي وأدفع ديون البعثات التي قمت بها، وأوفر التمويل اللازم لبعثة جديدة".

هكذا بدأ الأدميرال بيرد مغامرته الأولى، ومن ثم كرت سبحة المغامرات واحدة تلو الأخرى، وذاعت شهرته في الولايات المتحدة لأول مرة عندما طار فوق القطب الشمالي برفقة طيار بحري آخر هو فلويد بينيت سنة ١٩٢٦م.

ومنذ مولده وحتى وفاته سنة ١٩٥٧م، ساهم بيرد بالنصيب الأكبر في إيفاد خمس بعثات إلى القارة القطبية الجنوبية، كان آخرها بعثة "عملية الجمد العميق" والتي كان مقدراً لها أن تبقى هناك حتى سنة ١٩٥٩م. ورغم إسهامات بيرد وإنجازاته العظيمة، إلا أنه لم يحظ بمعاونة الحكومة الأمريكية في بعثاته الأولى إلا بالنزر اليسير الذي لا يكاد يذكر بيد أنه حصل على دعم ومساندة بعض رجال الأعمال وعلى رأسهم روكفلر وادسل فورد.

كان بيرد أكثر رواد القارة القطبية الجنوبية تنظيماً، بل إنه بدأ بعثته الأولى لإرتياد القارة بأكبر بعثة في تاريخ الإستكشافات القطبية الجنوبية، إذ أبحر سنة ١٩٢٨م على متن سفينتين هما "سيتى أوف نيويورك" وتعني باللغة العربية مدينة نيويورك، والثانية "اليانور بولنج" على اسم والدة بيرد نفسه. حيث أقام قاعدته في خليج الحيتان وكانت أكبر قاعدة تقام في القارة حتى ذلك الوقت، ولقد تكونت من ثلاثة مبان رئيسية، واثني عشر كوخاً صغيراً وحظيرة للطائرات حيث اصطحب معه ثلاثة طائرات زودت بمزلج للجليد. وأطلق على قاعدته اسم "أمريكا الصغيرة" وكان عدد سكانها اثنان وأربعون فرداً هم أعضاء البعثة.

وفي يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٢٩ قام بيرد بأول رحلاته الإستكشافية الجوية متخذا من جبال سكوت نقطة إنطلاق، واستطاع أثناء طيرانه أن يحدد بما لا يقبل الشك بأن أرض أدوارد السابع *"Edward land"* ما هي إلا شبه جزيرة وذلك لأول مرة. ثم اكتشف أربعة عشر قمة بإتجاه الشمال الشرقي من القاعدة أطلق عليها اسم هضبة أو جبال روكفلر

"*Rockefeller Plateau*" وفاء وتقديراً للمليونير الأمريكي روكفلر الذي ساهم في العديد من بعثات بيرد الإستكشافية.

واستطاع بيرد أن يكتشف ويصور العديد من المواقع والسواحل التي لم يتم اكتشافها أو تسجيلها من قبل. ولكن بيرد لم يكن وحده، فقد تم توزيع العمل على أعضاء الفريق، كل له شأن يؤديه وواجب يقوم به. لورنس جولد، نائب بيرد في قيادة البعثة والخبير الجيولوجي خرج في عدد من رحال البعثة لدراسة جبال روكفلر التي إكتشفها بيرد وأطلق عليها هذا الاسم. وكان خروجهم بواسطة إحدى طائرات البعثة الثلاث، وأقاموا هناك أسبوعاً، كانوا على اتصال يومي بواسطة اللاسلكي مع بيرد، ولكنهم توقفوا، فأوجس بيرد في نفسه خيفة نحوهم، فطار من فوره إليهم وعندما هبط بالقرب منهم، وجد أن رياحاً جليدية عاتية قد رفعت طائرتهم عاليا في الهواء رغم أنهم أوثقوا رباطها جيداً بأوتاد قوية، وأطاحت بها بعيداً عنهم وحطمتها تماما، ولقد قدر جولد سرعة الرياح تلك بنحو ٢٤٠ كم في الساعة.

أنقذ بيرد، لورنس جولد ورفاقه وعاد بهم سالمين إلى "أمريكا الصغيرة" قاعدتهم الرئيسية في خليج الحيتان.

ثم قام بيرد بعد ذلك بالطيران ولأول مرة في التاريخ فوق القطب الجنوبي رافقه في رحلته الصعبة تلك النرويجي المغامر "بيرنت بالتشن" حيث ألقي من الجو بالعلم الأمريكي على القطب بعد أن أوثق رباطه بحجر جلبه معه من أحجار قبر رفيق رحلته إلى القطب الشمالي "فلويد بينيت" الذي قضي نحبه أثناء إرتياده القطب الشمالي مع بيرد، وكانت تلك لفتة وفاء رمزية من بيرد لرفيق رحلته. ولقد استغرقت رحلة القطب الجنوبي الجوية قرابة تسع عشرة ساعة.

لم يكتف بيرد بما قام به، بل لعله لم يبدأ بعد، إذ أن هدفه الأساسي هو الكشف عن أكبر مساحة ممكنة من القارة القطبية. قام بالكثير من الطلعات الجوية، وشاهد مناطق

شاسعة لم تقع عليها عين إنسان من قبل، وشاهد جبالاً وأنهاراً جليدية غمضت على سكوت وامندسن من قبله ولم يعرفوا لها حدوداً.

ولعله الوفاء الذي حدا ببيرد أن يطلق اسم أدسل فورد على سلسلة من جبال اكتشفها أثناء طيرانه، وفاء للرجل الذي ساهم مساهمة فعالة في تمويل بعثات بيرد لم تساهم بمثلها الحكومة الأمريكية نفسها ومن يقصد أنتاركتيكا الآن سوف يسمع عن جبال عظيمة تُدعي جبال روكفلر، وفورد وسكوت وكينيون ونانسن وأمندسن وغيرها نسبة إلى رجال ساهموا إما بأنفسهم بإكتشاف مجاهل القارة أو بأموالهم وإن كان مما يصيب بالأسى والحزن ألا يكون للعرب نصيب لا بجهد ولا مال ولا أدنى من ذلك!

ختم بيرد إنجازاته العظيمة بإكتشاف مساحة هائلة من القارة القطبية وتحديدها وأطلق عليها اسم "أرض ماري بيرد" على اسم زوجته وكتب حول هذا الأمر رسالة يقول فيها: "يحق لنا أن نعلن بأن الأرض التي تقع شرقي خط الطول المائة والخمسين باسم ريتشارد إفلين بيرد، بأنها جزء من أرض ماري بيرد، وهي بذا تتبع الولايات المتحدة الأمريكية وتدخل ضمن أملاكها".

وأطرح أنا هنا سؤالاً بريئا وهو: لماذا أطلق معظم المكتشفين أسماء زوجاتهم على أراض تلك القارة؟! هل هو وفاء لهن أم لأنه لا توجد نساء على الإطلاق في تلك القارة يستولين على قلوب وعقول أولئك المغامرين؟!

عاد بيرد من رحلته الأولى إلى الولايات المتحدة، واستقبله قومه إستقبال الأبطال، بل إن الرئيس الأمريكي استقبل بنفسه سفينة البعثة لدى وصولها مدينة واشنطن، كما أصدر مجلس النواب والشيوخ شكرهما وتقديرهما نيابة عن الشعب الأمريكي لبيرد ورفاقه لما قاموا به من إنجازات عظيمة خلدها لهم التاريخ.

وحيداً في ظلام الشتاء القارس

كان للترحيب الكبير الذي لقيه بيرد أثره، إذ ازداد عدد الممولين والمناصرين لبعثاته، لذا فإنه لم يجد مشقة في الإعداد لبعثة جديدة أكبر من سابقتها. فقد أبحر مرة أخرى في سفينتين إلى أنتاركتيكا سنة ١٩٣٣م حمل معه أربع طائرات مروحية (هليكوبتر)، وجراراً ضخماً من نوع.. كليترك.. زنته حوالي ستة أطنان وثلاث سيارات صنعها خصيصاً للرحلات القطبية، أندريه ستروين، مصمم السيارات الفرنسي الشهير الذي صمم سيارات تحمل اسمه. وقد استبدل عجلات السيارات بجنازير تشبه جنازير الدبابات وهو النوع الذي لا زال يستخدم في أنتاركتيكا.

عاد بيرد إلى نفس القاعدة التي أقامها في رحلته الأولى "أمريكا الصغيرة *"Little America"* في خليج الحيتان والتي وجدها كما تركها إلا من أكوام الجليد التي طمرتها وأضاف إليها ثمانية مبان جديدة بعد أن أزاح أكوام الجليد عن القديمة

كان بيرد قد عقد أمراً لم يُطلع عليه أحدًا قبل وصوله إلى أمريكا الصغرى، وكان الأمر يقضي بأن يقيم عدد من الرجال في قاعدة صغيرة تنشأ خصيصاً لدراسة الأرصاد الجوية بالقرب من القطب الجنوبي. وفعلاً شيد صندوقاً خاصاًعلى هيئة كوخ للإقامة فيه. إلا أنه وجد استحالة إقامة أكثر من رجل واحد في ذلك الكوخ فصمم أن يكون هو ذلك الرجل رغم صعوبة تنفيذ هذا الإجراء لسبب إداري بسيط هو أن بيرد هو نفسه قائد البعثة، فكيف يترك بعثته بلا قيادة ويقيم هو وحيدا سبعة أشهر بعيداً عنهم؟!، بل كيف سيدير شئون البعثة وهو بعيد عنها قرابة ٢٠٠ كيلو متر ولم تتوفر لديهم في ذلك الوقت وسائل الاتصال الحديثة؟!

ونظراً للخطورة البالغة التي تكتنفها تجربة بقاء شخص واحد في كوخ صغير في شتاء القطب الجنوبي المهلك، فإن بيرد قد حسم الموقف وقرر أن يتصدى بنفسه لتلك المغامرة المهلكة فقد وجدها أهون من أن يتحمل مسئولية هلاك أي فرد آخر من أفراد بعثته وكتب يقول بهذا الصدد: "كانت الخطة الأصلية تقضي بتزويد القاعدة بعدد من الرجال، ولكن بدا ذلك مستحيلاً، وكان على أن أختار بين أمرين إما التخلي عن القاعدة الأمامية نهائياً ومعها البعثة العلمية كذلك، أو أن أتولاها بنفسي. ولم يطاوعني قلبي على التخلي عنها".

إنطلق بيرد مع عدد من رجاله يوم ١٦ مارس سنة ١٩٣٤ في قافلة مكونة من سيارات الستروين الثلاث التي جاء بها للقارة وجرار الكليتراك الضخم حاملا الكوخ الذي تم تجهيزه خصيصاً ليكون القاعدة المتقدمة، وحملت القافلة معها ما زنته ثلاثة عشر طناً من الأجهزة.. وكانت أولى المصاعب التي واجهتهم في الطريق هي تعطيل الجرار، مما حدا بهم إلى اختصار المسافة، وتم اختيار موقع القيادة المتقدمة عند خط العرض ٨َ ٨٠٠ْ أي ثمانين درجة وثمان دقائق على مقاييس خطوط العرض، علماً بأن القطب نفسه يقع على خط عرض ٩٠ درجة، أو في قلب دائرة التسعين درجة جنوباً.

أطلق بيرد اسم "بولنج" للأرصاد الجوية على القاعدة الأمامية على اسم والدته اليانور بولنج. وكانت القاعدة عبارة عن كوخ تم صنعه مسبقاً وضعه الرجال في وسط حفرة واسعة وجعلوا سقفه موازياً لسطح الجليد، اتقاء للعواصف الجليدية وصنعوا له فتحة في سقفه كما أقاموا مستودعات المؤن والوقود في أنفاق.. وكانت قاعدة بولنج أول قاعدة للأرصاد الجوية تقام في أنتاركتيكا، إذ كان هدف بيرد هو دراسة الجو في أقرب منطقة للقطب الجنوبي خلال فصل الشتاء المظلم، إذ كان من المعروف عندهم في ذلك الوقت أن تيارات

الهواء البارد المنسابة من القطب تؤثر تأثيراً بالغاً على مناخ الكرة الأرضية، إلا أنه لم يتوصل أحد إلى معرفة أي شيء عن التقلبات الجوية في منطقة القطب شتاءً.

في ٢٨ مارس غادر الرجال عائدين إلى قاعدتهم في أمريكا الصغيرة، وتركوا بيرد وحيدا في كوخه الذي أخذ يرقبهم، ثم ما لبث أن عاد إلى أموره التي من أجلها قرر الإقامة في تلك المنطقة النائية وكتب يقول: "إن الإقامة في تلك البقعة النائية كأنها الإقامة في كوكب مظلم شديد البرودة لا حياة فيه".

ولقد سرد بيرد يومياته في ذلك المكان في كتاب سماه وحيد *"Alone"* ونشره سنة ١٩٣٨م بعد عودته إلى الولايات المتحدة، ونشر باللغة العربية سنة ١٩٦٠ تحت عنوان "قاهر القطب الجنوبي"، ويشرح بيرد في كتابه تجربته الإنسانية الفريدة التي مر بها في أبرد مكان على كوكب الأرض في ليل متواصل. ودامت تجربته تلك قرابة السبعة أشهر، ويشير إلى عزلته الغريبة تلك بقوله: "الواقع أنني كنت أتوق إلى شيء أكبر من مجرد العزلة بمعناها الجغرافي، كنت أتوق إلى الإستغراق بحواسي في نوع من الفلسفة يجدد حياتي وهذا ما توفر لي في تلك القاعدة في جو بارد ومظلم يشبه تماما جو العصر الجليدي، لقد وجدت وقتاً للبحث والدراسة والتفكير وبعدت عن كل ما يتعلق بالحياة مدة سبعة أشهر تقريباً، عشت خلالها كما أهوى، ولا أتبع أية قوانين وضعها الإنسان سواي".

حمل بيرد معه إلى منفاه الاختياري، مجموعة من المعدات والأدوات، منها مولد كهربائي كان يستخدمه للإتصال بجهاز اللاسلكي بمقر بعثته في أمريكا الصغرى وموقد وجهاز حاكي "فونوغراف" يستمع من خلاله إلى الأغاني المحببة إليه ومجموعة كبيرة من الكتب. وكان عمله اليومي هو رصد درجة الحرارة من خلال أجهزة القياس المثبتة خارج الكوخ والعناية بكوخه وشئون معيشته اليومية وتدوين القراءات واليوميات.

بدأت أولى متاعب بيرد الرئيسية بعد إنقضاء ستة أسابيع من عزلته، عندما أصيب بصداع وتوتر في الأعصاب وألم في العينين وكتب يقول: "إنني متوتر الأعصاب لهذا اليوم إلى درجة كبيرة، وأصابني الإكتئاب، وأشعر للمرة الأولى، بأن الإحتفاظ بعقلي سليماً قد أضحى مشكلة خطيرة"... ولقد وجد بعد البحث والتقصي أن سبب ذلك مردة إلى انسداد في فتحات التهوية بسبب الثلج وازدياد نسبة ثاني أكسيد الكربون الناتجة عن اشتعال الموقد داخل الكوخ. ولقد شعر بتحسن عندما أزال الثلج عن فتحات التهوية إلا أنه أصيب بالتسمم بغاز ثاني أكسيد الكربون بعد ذلك عدة مرات، والغثيان والضعف الشديد إلى درجة كان يبذل جهوداً خارقة للوصول إلى كيس النوم الذي لا يبعد عن موضعه سوى أشبار قليلة.. وتراءت له النهاية وقد دنت منه حتى كانت أقرب إليه من حبل الوريد وكتب يقول: "كان الأمل الوحيد هو أن أكافح في سبيل بقائي مستعيناً بكمية المواد القليلة التي توجد على الرف، ورغم كل ما أقوم به في سبيل العلم والمعرفة، إلا أنني لا أضمن حكم الناس عليّ بقولهم: قد كان أبلهاً. لقد قضي نحبه في مهمة لا يقوم بها إلا أبله! وحين يقترب الإنسان من نهايته لا يهمه من أمور الحياة سوى شيئين، بغض النظر عمن يكون هذا الإنسان وهما: المحبة وعطف أسرته. ولقد ظللت محتفظاً بتصميمي على عمل شيء واحد، وهو كتابة رسالة إلى زوجتي لتكون آخر شيء أقوم به في حياتي ولكن رغم ذلك لم أستطع أن أمد ذراعي لإحضار الورقة والقلم. وبدا لي الفراش بعيدا كأنه في قارة أخرى ولقد خيل لي أنني مضطراً لاجتياز هضبة شديدة الارتفاع في سبيل الوصول إليه، وحين وصلت في سلام. اندسست في كيس النوم وأنا أرتعد وألهث، ثم أنهيت الكتاب الوصية وتذكرت آخر فقرة كتبها سكوت قبل هلاكه "نستحلفكم بالله أن تعنوا بذوينا" ولقد أدركت في هذه الليلة ما تعنيه عبارة سكوت إدراكاً عملياً بإحساس مشابه تماماً. ولقد واتتني القوة بعد ذلك لأن أكتب رسالة لأمي، وأخرى لأطفالي ورسالة أخرى لرجال البعثة في أمريكا الصغرى"

ثم مر بيرد بحالات متعددة من السخط والرضا، وارتقى إلى مستويات عليا من السمو الذهني والعقلي، وهوى مرات عديدة إلى مهاوي الجنون واليأس. وفي إحدى حالات تجلياته العقلية أو الروحية كتب يقول: "إن الكون ليس كائناً جامداً، لذا فإنه يملك عقلاً مدبراً ذكياً، وأهم أسباب وظواهر هذا الذكاء هو التوافق المدهش في الكون. فالجنس البشري ليس وحده في هذا الكون، فعلى الرغم من انقطاعي عن بني البشر، إلا أنني أشعر بأنني لست وحيداً. ولقد شعر الإنسان بذكاء الكون منذ أجيال عديدة، ولعل هذا الإدراك هو النقطة الوحيدة التي تلتقي عندها وتؤمن بها جميع الأديان. ولقد أطلق على ذكاء الكون أسماء عديدة، إلا أن الغالبية يطلقون عليه اسم: (الله)".

ثم يصف بيرد مقدم الشتاء بزمهريره وظلامه الكئيب قائلاً: "ظهر يوم الأربعاء ٢٠ يونيو صعدت إلى سطح الكوخ وقد ربطت ورقتين حراريتين حول وسطي وارتديت ملابس الفراء وذلك فراراً من ظلام الكوخ الذي لا يطاق، وكان الثلج يتساقط، وكان خط الأفق جهة الشمال ملوناً بألوان قرمزية، هي عبارة عن أقصى ما وصلته أشعة الشمس المختفية وكان ليل الشتاء يقترب من ذروته، بمعنى أن الإنقلاب الشتائي سوف يحدث في خلال يومين حين تقف الشمس ساكنة أثناء رحلتها إلى نصف الكرة الشمالي عندما تصل إلى ذروة إنحرافها الذي يبلغ ٢٣,٥ درجة دون الأفق، ثم تبدأ بعد ذلك انزلاقها التدريجي إلى نصف الكرة الجنوبي وعودة الشمس إلى خط عرض ٨َ ٨٠٠ْ أي إلى القاعدة الأمامية التي أقيم فيها ستكون يوم ٢٧ أغسطس، وحتى يحين ذلك الموعد عليَّ أن أكون على حذر زائد.".

ثم كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر يونيو عندما هبطت درجة الحرارة إلى أدنى مستوى لها حيث وصلت إلى ٥٠ درجة تحت الصفر، ورغم تلك البرودة المميتة، إلا أن بيرد وجد وقتاً وقدرة احتمال عجيبة ليصف فيها تألق القمر وتنقله وسط السماء!

ثم تدنت درجة الحرارة إلى ٦٥ درجة مئوية تحت الصفر في الأول من يوليو، ثم وصلت إلى ٨٤ درجة مئوية تحت الصفر في منتصف الشهر وهي أدنى درجة برودة واجهها بيرد أثناء مغامرته تلك. وكانت البرودة بمكان إلى أنها جمدت الماء المنسكب من الأبريق الساخن عند صبه في الوعاء أثناء إعداده لطبق الحساء!

ثم ما أن انقضى شهر يوليو، وحل أغسطس، حتى بدأ الرجال في قاعدة أمريكا الصغرى استعداداتهم لرحلة الذهاب إلى قاعدة بيرد الأمامية للإتيان به وبمعداته وتسجيلاته إلى القاعدة الرئيسية، لقد بذلوا جهوداً مضنية، منها تعطل الجرار واضطرارهم للعودة إلى أمريكا الصغرى بعد أن قطعوا مسافة طويلة نحو الجنوب فقد خلالها بيرد الأمل في انقاذه بعد أن تدهور الوضع عنده تدهوراً شديداً وكتب يقول: "لقد استسلمت تماماً لليأس هذا الصباح، إذ يبدو أن محاولات إنقاذي تتعارض مع توفر السلامة للرجال، ولهذا كان من الخطأ أن أدع الآمال تراودني بقوة. ومع أن الأمل في إنقاذي قد ولى، إلا أن صلابة (حيوانيتي) وهي صفة موجودة في كل إنسان لم تدعني أستسلم لليأس".

ولكن رغم ذلك استطاع ثلاثة من رجال أمريكا الصغرى الوصول بالجرار الضخم إلى كوخ بيرد بعد محاولتين فاشلتين وكان وصولهم فجر الثاني عشر من أغسطس عام ١٩٣٤ حيث قاموا على تمريضه والعناية به وتولى مسئوليات البحث العلمي لمدة شهرين وأربعة أيام حيث عاد الجميع بعد ذلك إلى القاعدة الرئيسية في خليج الحيتان.

أما باقي أفراد البعثة فقد قاموا بجهود علمية كبيرة، خاصة في مجال الجيولوجيا وطبقات الأرض وتحديد سمك الجليد للمرة الأولى. والكشف عن الأحياء الدقيقة وغيرها.